مَن أخطأ في واحدة يخطأ في الكل

الأب أنطوان ملكي

"مَن أخطأ في واحدة يخطأ في الكل" (يعقوب ٢:١٠). أعطي هذا المقال عنوانًا هذه الآية من الرسول يعقوب، لا لإدانة أحدٍ ولا لادّعاء السلطان لإصدار الأحكام، بل للإشارة إلى معنى الآية التربويّ وتطبيقه الإداريّ في الكنيسة: مَن يرتكب مخالفة تهونُ عليه المخالفة فيكرّرها. هذا الأمر لا يعود إلى أيّ ضعفٍ في الكنيسة، بل إلى النفس البشريّة الجانحة إلى الشرّ، كما نقرأ في الإفشين الثاني من صلاة الزيت، وما نفسّره في اللاهوت بأنّه أحد مظاهر الطبيعة الساقطة.

الكلام هنا هو على سيامة أنجليك مولن شمّاسةً على يد مطران زيمبابوي، وموقف الكرسيّ الإسكندريّ من السيامة. فالطرفان، المطران والكرسيّ، بتأثيرٍ قويّ من البطريرك، سبق لهما أن تعاملا بخفّةٍ مع القوانين الكنسيّة، التي نؤمن بأنّها علاجاتٌ وليست دساتيرَ، ويستمرّ هذان الطرفان في سلوكهما السابق، من دون أيّ حسابٍ لما قد يكون تأثير هذا السلوك وهذا التخطّي للقوانين على الكنيسة، المحلّيّة والجامعة.

إنّ الغاية من قراءة مجريات الأمور بهذا الشكل هي توجيه رسالة إلى كلّ الذين يغلبهم حماسهم من الجهتين، مؤيّدي السيامة ورافضيها. فالسيامة هي إحدى ظواهر مشكلةٍ أعمق، وقد تنتج منها مشكلاتٌ متفرّعةٌ تؤذي المؤمنين، ليس أقلّها تكوينُ أفكارٍ ومواقفَ لا تستند إلى الإيمان الدقيق ولا إلى الممارسة الصحيحة، بل تؤدّي إلى الانقسام وإدانة الآخرين والهزء بهم والاستكبار عليهم. فبعد بعض الوقت، ستخبو قضيّة أنجليك مولن، ولكن سيبقى ما تركَه المستفزّون من استفزازاتٍ وهزءٍ وعنادٍ وانعدام لياقة، ليُهدّد كلّ حوارٍ ضروريّ وأساسيّ في الكنيسة حول الأمور كلّها، حتّى البديهيّات منها. تتكرّر هذه الرسالة بأشكالٍ وتعابير عديدةٍ في كتابات العديد من الرؤساء والآباء والحكماء، وعليه يأتي هذا المقال ليُسلّط الضوء على بعض الحقائق، مُظهرًا ترابطها، ممّا قد يساعد أصحاب الرؤوس الحامية على الهدوء واحترام تعدُّد الآراء.

عن الكرسيّ الإسكندري

كنيسة الإسكندريّة، وهي الثانية في الكرامة بين الكنائس الأرثوذكسيّة، صدرَ عن مجمعها في تشرين الأوّل ٢٠٠٩ القرار التالي: "تمّ رفض رسامة الشمّاسات بالإجماع لأنّه لا ضرورة لإقرارها في ممارسة الكنيسة الأرثوذكسيّة في القارّة الإفريقية". ثمّ في العام ٢٠١٦، بعد لقاء كريت (الذي سُمّي مجمعًا)، عاد المجمع نفسه وقرّر: "في ما يتعلّق بمسألة خدمة الشمّاسات، فقد تقرّر إحياؤها، وتمّ تعيين لجنةً ثلاثيّةً من رؤساء الكهنة لفحص الأمر بالتفصيل". لم يذكر القرار الضرورة التي نشأت خلال هذه السنوات السبع، والتي جعلت ما لم يكن ضروريًّا مطلوبًا وحكمت بضرورة إحيائه. وفي شباط ٢٠١٧، سامَ بابا الإسكندريّة ثيودوروس الثاني خمس نساءٍ في الكونغو الديمقراطيّة شمّاساتٍ "ليُساعدنَ في أعمال التبشير في الأبرشيّة، بخاصّةٍ المعموديّة والتعليم المسيحيّ". وقد أكّد البطريرك أنّه ليس هناك أيُّ تجديد، بل إحياء ممارسة الكنيسة القديمة.

في مجالٍ آخر، قام البطريرك/البابا ثيوذوروس في أيلول ٢٠١٨ بزيارة كييف، ليُعبّر عن دعمه للميتروبوليت أونوفريوس والكنيسة الأوكرانيّة القانونيّة القائمة، في حين اكتفى العديد من رؤساء الكنائس الأرثوذكسيّة بالدعم من بعيد. ثمّ في آب ٢٠١٩، أي بعد أقلّ من سنة من الزيارة، ومن دون أيّ سابق نقاش، اعترف البطريرك الإسكندريّ، ومن دون الرجوع إلى أيّ مجمع، بالكنيسة المنشقّة في أوكرانيا.

إنّ هذا التذبذب هو مظهر فوضى تعاني منها كنيسة الإسكندريّة، وتظهر بقوّةٍ في عدم حسمها قضيّة تعدُّد الزوجات التي وصلت حتّى إلى الكهنة. ما يلي مقاطع من رسالةٍ أرسلَها الميتروبوليت بندلايمون في ١٥ أيار الجاري، وهو مطرانٌ متقاعدٌ من الكرسيّ الإسكندريّ، كان أوّل مطران لغانا. يشير في هذه الرسالة إلى مسألة سيامة أنجليك مولن، كما إلى زواج أحد الكهنة للمرّة الثانية في الأسبوع العظيم:

> ... تتعلّق المسألة الأولى بالتقليد الكنسيّ الأساسيّ، أي رسامة الشمّاسة السيّدة أنجيليك (أنجيليك مولن). بالطبع، رتبة الشمّاسات كانت موجودةً بلا شكّ في القرون الأولى للمسيحيّة، وكان دورها الحصريّ مساعدة الأسقف أو الكاهن في أثناء معموديّة النساء البالغات والتعليم المسيحيّ للشابات. ولكن مع انتشار معموديّة الأطفال، هزُلَت حتّى اندثرت في النهاية. بينما

استمرّت خدمة المعلّمات، ما ساهم بشكلٍ كبيرٍ في التعليم المسيحيّ المقدّس للكنيسة الأرثوذكسيّة.

ومع ذلك، لم يُسمح للمرأة مطلقًا، عبر تاريخ الكنيسة، بالمشاركة في خدمة القدّاس الإلهي أو نقل جسد المخلّص الطاهر ودمه الثمين إلى المؤمنين، كما يظهر في الصور المنشورة في وسائل الإعلام!!! إنّ مسؤوليّة التسبُّب بالفضيحة عند المؤمنين تقع على عاتق الأسقف الذي سمح بذلك.

في أبرشيّة زيمبابوي المقدّسة، لا يوجد عددٌ كبيرٌ من الموعوظات الجدد بحيث تصبح رسامة شمّاسة أمرًا مطلوبًا. ومن جهةٍ أخرى، كما تعلمون أنفسكم، ومع كامل احترامي، فإنّ الأخ الفاضل السيّد سيرافيم **متغيّبٌ معظم الوقت عن أبرشيّته**. فأين الحاجة إذًا إلى رسامة شمّاسة؟

في هذا الشأن، أودُّ بكلّ تواضعٍ أن أوصي بانتباهٍ غبطتكم الإلهيّة ورؤساء كهنة الكرسيّ الرسوليّ القدّيسين، ألّا تفتح مثل هذه الأعمال الطريق أمام المؤمنين المحلّيّين، فيبدؤون بالمطالبة برسامة النساء إلى الدرجة الثانية من الكهنوت. حذارِ!

أما المسألة الثانية فتتعلّق بإقامة إكليل زواجٍ ثانٍ للكاهن المحلّيّ الأب تيموثي دويدي، في بنين، من أعمال أبرشيّة نيجيريّا المقدّسة، في ٢٠ نيسان ٢٠٢٤. كما تعلمون، يا صاحب الغبطة، فإنّ الزواج الثاني لكهنةٍ متزوّجين محظورٌ تمامًا بموجب الكتاب المقدّس (تيطس ١:٦)، والقوانينِ المقدّسةِ والآباءِ القدّيسين في كنيستنا الأرثوذكسيّة.

يعلّمنا القديس غريغوريوس اللاهوتيّ صراحةً قائلاً: "لو كان هناك مسيحان، لكان هناك زوجان وزوجتان، ولكن بما أنّ هناك مسيحًا واحدًا، وهو رأس الكنيسة، فجسدٌ واحدٌ (زواجٌ واحد)" (Migne, PG, 36, 292)

تحدّد القوانين المقدّسة: "إذا تزوّج الكاهن (زواجًا ثانيًا) يُحرَم من خدمته" (مجمع قيصريّة الجديدة). "لا يجوز للكاهن بعد سيامته أن يدخل في شركة زوجيّة، ولكن إذا تجرّأ على ذلك فليُعزَل" (القانون السادس من المجمع المسكونيّ السادس). وكذلك إذا هجرته زوجته أو رقدت فلا يتزوّج بأخرى. ويقول القانون الثمانون عند القدّيس باسيليوس الكبير: "يصمت الآباء عن تعدُّد الزوجات، معتبرين أنّه غريبٌ تمامًا عن الطبيعة البشريّة. بالنسبة لنا، هذه الخطيئة أسوأ بكثير من الزنا".

إنّ الكاهن تيموثي دويدي اتّخذ زوجةً جديدةً فيما لا يزال متزوّجًا من زوجته الأولى؛ إذًا له زوجتان. إنّه أوّل كاهنٍ متعدّد الزوجات. لقد أقام خدمة إكليل الكاهن المذكور كاهنان أرثوذكسيّان، هما الأب موسى ميلون ماجنونكبون والأب بيير بول كبوسيه. وأسقفهم أثناسيوس كيمبي لم يعاقب لا الأب تيموثاوس، ولا الكاهنين اللذين أقاما الإكليل.

بالإضافة إلى ذلك، الزواج محظورٌ خلال الصوم الكبير والأسبوع العظيم. إنّ زواج الكاهن المعنيّ يشكّل اغتصابًا روحيًّا وجهلًا لدى الكهنة الأصليّين لشرائع كنيستنا المقدّسة والتقليد المقدّس.

إنّ الكنيسة الأرثوذكسيّة تعتبر تعدُّد الزوجات أعظم خطيئة، وهو محرَّمٌ على جميع المسيحيّين الأرثوذكسيّين!.. ❝

إنّ هذا الوضع، بدءًا بالتذبذب في مواقف الكنيسة الإسكندريّة، إلى العجز عن تطبيق البديهيّ من القوانين الكنسيّة والأخلاقيّة، والذي يعزوه العارفون إلى غياب الحدّ الأدنى من المجمعيّة، ولو الشكليّة، فيما يرأس الكرسيّ بطريركٌ يسمى بابا، ويمارس البابويّة بشكلها الذي كان في القرون الوسطى، إنما يؤكّد أنّ الكرسيّ الإسكندريّ ليس في موقع أن يكون مصدرَ تغييرٍ في الكنيسة الأرثوذكسيّة الجامعة، بخاصّةٍ أنّه يعيش على حساب مؤمني اليونان وقبرص، وهو ما يذكره الكرسيّ في رسالته التوضيحيّة عن سيامة الشمّاسة. كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الرسالة لم توضح شيئًا عن الرسامة، بل على العكس، أكّدت أنّ المطران سيرافيم قام بالسيامة من ذاته وبتوقيته هو.

عن المطران سيرافيم

هنا ينبغي التوقُّف عند بعض النقاط التي تُظهر خفّة المطران المذكور في التعاطي مع هذه القضيّة، كما مع غيرها. تجدر الإشارة إلى أنّه من المعروف في الأوساط اليونانيّة أنّ أبرشيّة زيمبابوي هي ملجأٌ لأغلبيّة الكهنة اليونان والقبارصة المهدَّدين بالمحاكمة أو القطع. أمّا في قضية أنجليك مولن، فيَظهر استخفاف الرجل بالكنيسة، كجماعةٍ وقوانين وروابط، في مبادرته بعد عشرة أيّامٍ من سيامتها شمّاسة -وهي سيامةٌ باطلةٌ إذا ما تمّ تطبيق القانون الكنسيّ بدقة- إلى ترفيعها إلى رئيسة شمامسة. وهنا أيضًا تظهر آفةٌ منتشرةٌ في الكنيسة الأرثوذكسيّة، بخاصّةٍ اليونانيّة اللسان والأنطاكيّة، حيث نَجِدُ متقدّمين من دون وجود مَن يتقدّمون عليه.

فأنجليك رئيسة شمامسة من دون شمّاسات، كما أنّ عددًا غير قليلٍ من الكهنة متقدّمون من دون وجود كهنةٍ يتقدّمون عليهم.

أمّا من ناحية احترام المطران للأصول والقوانين فيُسجَّلُ التالي:

- لا يوجد في أيّ مرجعٍ خبرٌ عن سيامةٍ لأيّة درجةٍ من الدرجات، ولا عن معموديّة، في الأسبوع العظيم، وبخاصّةٍ في قدّاس الخميس العظيم حيث يكون "التلاميذ المجيدون في غسل العشاء مستنيرين". هذا إن دلّ على شيءٍ فعلى أنّ الكنيسة تريد أن تركّز في هذا اليوم على سرّ الإفخارستيّا الذي تؤمن بأنّه تأسّس في هذا اليوم.
- الشمّاسة التي جرَت سيامتها قامت بمناولة المؤمنين، الأمر الذي ليس من وظائف الشمامسة، رجالاً كانوا أو نساء. طبعًا هذا الكلام لا يوافق عليه الكثيرون من الأنطاكيّين، فمن باب "التدبير" يُعطى الشمامسة وحتّى بعض الإيبوذياكونيّة الإذن ليُناوِلوا.
- من المعروف، بحسب عددٍ من القوانين، بأنّ الشمّاسة لا تُسامُ قبل الأربعين، فيما أنجيليك دون هذه السنّ. كما أنّه من المعروف أنّ الشمّاسات يجري اختيارهنّ من الأرامل أو العذارى، أمّا أنجيليك فمتزوّجة، إذ يظهر ابنها في إحدى الصور ممسكًا بها وهي تتقبّل التهاني من المؤمنين...

بغضّ النظر عمّا إذا كان من الضروريّ التمسُّك بالقوانين الكنسيّة التي تُحدّد هذه المواصفات، أم من الممكن تخطّيها، فالمنطق العلميّ يقول إنّ مجرد تخطّيها يُسقِطُ عن السيامة صفةَ إحياء الممارسة القديمة ويجعلها ابتداعًا. أمّا منطق الكنيسة فيقول إنّ قرار التخطّي يأتي من الكنيسة مجتمعةً في المجمع، وليس من هذا المطران أو البطريرك أو ذاك.

وهنا أيضًا يأتي ردُّ المطران سيرافيم على مطران أيكونيا ليُشير إلى الخفّة في التعاطي. فلا فحواه ولا لغته يدلّان على أيّ عمقٍ لاهوتيّ، لا بل يُظهران تقميشًا لأخبارٍ لا تستقيم في ردّه. فعلى سبيل المثال، يستشهد بأنّ القدّيس نكتاريوس سام شمّاسات، مدّعيًا أنّه يسير على خطاه. في المقابل، رسالة القدّيس نكتاريوس إلى رئيس أساقفة أثينا تُظهر، بما لا يقبل الشكّ، أنّه لا تشابه بين الإطارَين في الممارسة والمهمّات المطلوبة من الشمّاسات. يقول القدّيس: "وأمّا بالنسبة إلى الشمّاسات، فأبلغكم أنّهنّ في المقام

الأوّل خادماتٌ للهيكل. وقد تمّ اعتماد لباسهنّ بحسب الطريقة التي يرتدي بها القرّاء الذين في كنائس المدن ثيابهم المقدّسة. وقد سُمِحَ بهنّ للأسباب التالية: لأنّه لا يوجد شمامسة في أديرة النساء، ولا كهنة في هذا الأديرة بالذات، ولأنّني لا أستطيع الاهتمام بنظافة الكنيسة، ولا البقاء دائمًا في الكنيسة لأخدم ككاهن، ولأنّ الهيكل له خصوصيّة. وبسبب الحاجة المطلقة لأشخاصٍ معيّنين لتنظيف الأواني المقدّسة، وتغيير أغطية المذبح المقدّس، وأداء كلّ واجبات الكاهن الأخرى في الهيكل، فكّرتُ في تعيين اثنتين [إيبوذياكونتين] حتّى تتمكّنا من التناوب في أداء الواجبات في الهيكل. وفي حالة الضرورة القصوى، تُحضران القربان المقدّس إلى الأخوات المريضات جدًّا في كأسٍ صغيرٍ مخصّصٍ لهذا الغرض. وباستثناء هذه الضرورة، فإنهنّ خادماتٌ في جميع واجباتهنّ الأخرى".

في المواقف

في النهاية، تكرارًا لما بدأنا به، ليس الهدف إدانة أيّ شخص، بل التركيز على أنّ ما يصدر عن الضعف يكون ضعيفًا. قول الربّ إنّ قوّته في الضعف تكمل، هو في حالة التسليم له، لا في حالة الابتداع غير البنّاء. الكثير مما كُتِبَ يدور حول سؤال "ماذا بعد؟"، مثل ما كتبه الميتروبوليت سابا والميتروبوليت كاليستوس وير والعديد غيرهما. من المؤكّد أنّ الإصرار على عدم الإنصات إلى ما يقوله الإخوة هو انقسام، وإن يكن غير معلَن. ثمّة الكثير من المواقف على وسائل التواصل الاجتماعيّ التي تؤكّد الانقسامات، ومنها لرؤساء كهنة وكهنة وناشطين، ومنهم من الكرسيّ الإسكندريّ نفسه.

في المقابل، ثمّة مواقف هادئة ولكن حاسمة. على سبيل النموذج، تُشكّك الخوريّة إفجانيا كونستانتينو، وهي أستاذة متقاعدة في الدراسات الكتابيّة، في أنّ رسامة الشمّاسة ستكون مصدر إلهامٍ للكنائس الأخرى، فالتغييرات غير العاديّة تحدث ببطءٍ شديدٍ في الكنيسة الأرثوذكسيّة. وما يجعل المسيحيّ أرثوذكسيًّا هو أنّه "يتبع التقاليد ولا يُغيّرها... نحن لا نقبل الابتكارات في الكنيسة، ولهذا السبب، على الرغم من حدوث ذلك، لا يمكنك أن تتوقّع رؤية أيّ نوعٍ من التأثير المضاعف في بقيّة العالم الأرثوذكسيّ... فقرار بطريركيّة الإسكندريّة وكلّ إفريقيا لم يُتّخَذ بالتشاور مع البطريركيّات الأخرى المستقلّة أو المتمتّعة بالحكم الذاتيّ في الكنيسة الأرثوذكسيّة، لذا فهو لا يحمل أيّة شرعيّة في العالم الأرثوذكسيّ... بعبارةٍ أخرى، لا ينبغي تفسير ذلك بأنّه بيانٌ يقول إنّ الباب مفتوحٌ الآن أمام النساء في كلّ مكان... يمكن تفهُّمُ

رسامة الشمّاسة في السياق الإفريقيّ، حيث يطالِب عددٌ من المؤمنين بالمزيد من الكهنة والشمامسة؛ بينما في الولايات المتحدة فإنّ الدافع وراء طلب تعيين شمّاسات هو مطالبة النساء بمسؤوليّاتٍ متساويةٍ مع مسؤوليّات الرجال في الكنيسة والمزيد من الظهور في الليتورجيا".

أما الدكتور جون بانايوتو، فقد ذكرَ أنّ سيامة الشمّاسة في إفريقيا فاجأته... وقد تُهدِّدُ هذه الرسامة وحدة الكنيسة بشكلٍ أكبر إذا قرّرت بعض الكنائس الاعتراف بالشمّاسة دون البعض الآخر، وقد تختار بعض الكنائس قطع العلاقات مع بطريركيّة الإسكندريّة وسائر إفريقيا بسبب تبنّيها الابتداع. فقرار السيامة مع حجم التغيير الذي ينطوي عليه كان ينبغي اتّخاذه بالتشاور مع الفروع الأخرى للكنيسة الأرثوذكسيّة. لهذا، هو يعتقد أنّه من أجل الوحدة، لم تكن هذه هي الطريقة "الأنظف" للقيام بذلك، بخاصّةٍ أنّ السيامة بالشكل الذي جرت فيه ليست استمرارًا لدور الشمّاسة في الأيّام الأولى للكنيسة، بل هي أقرب إلى الكهنوت.

خاتمة

من الممكن طبعًا تجميع عددٍ كبيرٍ من المواقف التي شجّعت السيامة وأيّدتها وباركتها، حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى إطلاق العنان لأحلامهم بأساقفةٍ متزوّجين وكاهناتٍ وغيره. هذا الكلام ليس لرفض أيٍّ من هذه الأمور بشكلٍ أعمى، بل هو للإشارة إلى أنّ هؤلاء الحالمين لا يعرفون الكنيسة الأرثوذكسيّة، وأنّ أصواتهم المرتفعة لا تؤدّي إلى أيّ ضغطٍ كما يتخيّلون. وهنا تنفع الإشارة إلى أحد الأمثلة على خطأ رمي المعلومات لمجرّد معرفتها: بادر البعض إلى نشر صورة للسيّدة أنجليك مع صاحب الغبطة البطريرك الأنطاكيّ. إنّ الخبرة تشير إلى أنّه في الكنيسة الأرثوذكسية، بمختلف كراسيها، مجموعاتٌ من الأشخاص الذين يجدون في اللقاءات والمؤتمرات الكنسيّة فرصةً لالتقاط الصور مع الرئاسات، فيَرمونها على وسائل التواصل الاجتماعيّ، حيث لكلّ واحدٍ أن ينشر ما يشاء، ويدعو أحبابه إلى تسجيل إعجابهم وافتخارهم به، وفي النهاية يصدّق ما يقولون. من هنا يأتي السؤال: ما المطلوب الإيحاء به من خلال نشر صورة أنجليك مع البطريرك يوحنّا العاشر، لا سيّما أنّ الصورة أُخِذَت قبل سيامتها المفترَضة؟ ما الذي يمنع أن تكون أنجليك من محبّي الصوَر مثلها مثل الكثيرين؟ الأكيد هو أنّه لا يمكن مطلقًا إلصاق أيّ موقفٍ بالبطريرك الأنطاكيّ استنادًا إلى هذه الصورة. أمّا محبّو الكاميرات، فلهُم أن يبنوا على صورهم قصورًا من الرمل ما شاؤوا.

تُواجه الأرثوذكسيّة الكثيرَ من التحدّيات من الداخل قبل الخارج. لا يمكن مقاربة هذه التحدّيات إلّا بالصلاة والفكر الهادئ المُجاهِد في المحبّة واحترام الكنيسة، ببنيتها وتاريخها ونصوصها، والأهمّ بتركيبتها البشريّة.

المراجع

- “Απάντηση στον Μητροπολίτη Ικονίου Θεόληπτο”. Romfea. 10/05/24. Link: romfea.gr
- Fiona André. Eastern Orthodox Church ordains Zimbabwean woman as its first deaconess. *Episcopal News Service*. Posted May 6, 2024. Link: episcopalnewsservice.org
- Newsroom. “Καταπέλτης ο εφησυχάζων Μητροπολίτης Αντινόης Παντελεήμων: «Δεν επετράπη ποτέ...» – Μήνυμα στον Πατριάρχη Αλεξανδρείας Θεόδωρο”. *Βημα Ορθοδοξιας*. 17/05/2024. Link: vimaorthodoxias.gr
- Syrongylis, Celopas & Tripoulas, Christopher (2012). *St. Nectarios of Pentapolis and the Island of Aegina: The Monastic Ideal*. Holy Cross Orthodox Press. P. 15 (footnote).
- Γραφείο Ρεπορτάζ. “Ζιμπάμπουε: Χειροτονήθηκε η πρώτη γυναίκα διακόνισσα στην ορθόδοξη εκκλησία”. *ORTHODOXIA.INFO*. Παρασκευή 10 Μαΐου 2024. Link: orthodoxia.info
- Πατριαρχείου Αλεξανδρείας και πάσης Αφρικής. ΑΝΑΚΟΙΝΩΣΗ. 11 Μαΐου 2024. Link: patriarchateofalexandria.com